مؤلف: **مجموعة مؤلفي بيان الإسلام**
مصدر: **موسوعة بيان الإسلام**
لتاريخ: **17/08/2020**

نص السؤال

التشكيك في نظم القرآن الكريم وإعجازه البلاغي

الجواب التفصيلي

بك في نظم القرآن الكريم وإعجازه البلاغي(*)

ون الشبهة:

يشكك بعض المتوهمين في إعجاز القرآن الكريم البلاغي، مستدلين على دعواهم باشتماله على حروف لا معنى لها، افتتحت به أوائل السور مثل: (ص، ق، الم...)، كما زعموا أن محمدا - صلى الله عليه وسلم -

وله:

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (94))

(يونس)،

دفون من وراء ذلك إلى الطعن في عصمة القرآن الكريم.

إبطال الشبهة:

1) نزل القرآن على أرباب الفصاحة والبيان، ولو وجدوا فيه ما زعمتم لكانوا أول من شكك فيه وشنع عليه، لكنهم شهدوا له بالبلاغة والبيان.

2) ليست الحروف المقطعة في القرآن الكريم كلاما زائدة دون معنى، وإنما هي معجزة لغوية.

3) الفهم الصحيح للآية التي استدل بها هؤلاء يزيل هذا الوهم لديهم، فالمقصود هنا الفرض والتمثيل، وقيل: بل خوطب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالآية والمقصود أمته، وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز

ل:

جاز القرآن في بيئة بضاعتها الكلمة:

حق، فقد نزل على عرب أفحاح، فاقوا الأمم في ميدان الفصاحة والبلاغة، واعتنوا بذلك أتم العناية، وبلغوا المنزلة العظمى في التفنن في البيان؛ فأقاموا الأسواق في الشعر والخطابة، وعلقوا معلقاتهم على الك

وجل - أن أنزل لهم هذا القرآن بهذه اللغة التي يفتخرون بها، وتعالوا بها على الأمم، فبهرهم القرآن ببديع ألفاظه، وجميل معانيه، وعظيم مقاصده ومبانيه، فخضعوا له وتهيبوا أن يتكلموا فيه طعنا في لفظ أو في

وتحداهم القرآن أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا

لى:

(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (88))

(الإسراء)

ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله،

لى:

(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (13))

(هود)

فلما عجزوا أن يأتوا بعشر سور مثله،

لى:

(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم)

(البقرة: 23).

في القرآن؛ لأن القرآن بلغ الذروة في صياغته وأسلوبه، قال أبو بكر الباقلاني: "بديع النظم، عجيب التآلف، مبناه في البلاغة إلى الحد الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله".

ألسنة لسان العرب، وأكمل البلاغة بلاغة القرآن". وقال ابن أبي الإصبع المصري: "وإذا انتهيت إلى بلاغة الكتاب العزيز انتهيت إلى نهاية البلاغة".

العلماء يكتبون بصدق صادق في بلاغة القرآن وطرائق نظمه، ونورد هنا بعض ما ذكره علماء التفسير والبلاغة حول بعض الكلمات القرآنية التي تحمل حشدا من الصور البلاغية:

•

وله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة)

(التوبة: 38)

ثاقلتم) تشخص في الخيال صورة ذلك الجسم "المثاقل" الذي يرفعه الرافعون في جهد شديد، فيسقط من أيديهم في ثقل، ولو كانت الكلمة "تثاقلتم" لخف جرس هذه الكلمة، وتوارت الصورة المطلوبة التي استث

•

وفي قوله تعالى:

(ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون (87))

(البقرة)،

ظم [1].

يف مع هذه البلاغة والفصاحة يتهم القرآن باحتوائه على كلام ليس بليغا وليس له معنى.

ر العلماء للحروف المقطعة:

كر العلماء والمفسرون أن للحروف المقطعة معاني وتفسيرات عديدة منها:

1. **أنها حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها.**
2. **أنها أدوات صوتية مثيرة لانتباه السامعين، الغرض منها تفريغ القلوب من الشواغل الصارفة لها عن السماع من أول وهلة.**
3. **أنها إشارة إلى حروف الهجاء، أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي منها كلامهم.**
4. **أنها أسماء للسور التي وردت فيها، وسميت بها إشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب.**
5. **أنها حروف مقطعة، لكنها معجزة بلاغيا، تحمل أحد أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، فمثلا: في سورة "ق"**

ل تعالى:

(ق والقرآن المجيد (1))

(ق)

لاغة القرآن العالية في أسلوبه حين يوائم ما بين الكلمة المعجمة في معناها وبين جيرانها من ألفاظ اللغة العربية في الآيات التي تتلوها، حتى أمست واحدة من مفرداتها.

وكذلك الأمر في سورة "ص" في

لى:

(ص والقرآن ذي الذكر (1))

(ص)

ني.

سوء هذا المعنى: تقولوا عليك وأساءوا واتهموك بإتيان ما ليس له سند، وتقولوا أيضا على القرآن، وأساءوا إلى ما به من قصص السابقين، بل هم في استكبار وإعراض عما تبلغ به.

وبهذا البيان يتضح لنا معنى الحرف "ص"، ومما يؤازر هذا المعنى - بما لا يدع مجالا للشك - كلمة "المتكلفين" في

لى:

(قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (86))

(ص)،

يرد عليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه ليس كما تقولوا عليه ولا يتكلف شيئا من عنده.

فسير الصحيح للآية ينفي دعوى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - شك في القرآن:

أما ادعاؤهم أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - شك في القرآن، مستدلين على هذا

لى:

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك)

(يونس: 94)،

هم،

ال:

(فإن كنت في شك مما أنزلنا)،

رض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الله إلى رسول الله، لا وصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالشك فيه،

ال:

(لقد جاءك الحق من ربك)

، أي: ثبت أن ما أتاك الله هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية:

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (94) ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (95))

(يونس)

مة.

- قال: "لا والله ما شك طرفة عين، ولا سأل أحدا منهم"؛ ولأنه لم يسأل - وهو جواب الشرط في أول الآية - فيكون الشرط لم يحصل، وهو شك النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: خوطب - صلى الله عليه وسلم - لام [2].

ة:

ي البلاغة أن يأتوا بمثل ما أتى به القرآن الكريم من بلاغة، وحسن بيان، وروعة نظم، فخضعوا له هيبة أن يتكلموا فيه طعنا في لفظ أو إعراب أو بيان، بل على العكس شهدوا بأنه يعلو ولا يعلى عليه.

ي القرآن الكريم لها معان عديدة ذكرها العلماء والمفسرون، كما تشتمل على نكات بلاغية ذات قيمة وأهمية في سياق السور.

- **لم يكن**

ه سبحانه وتعالى:

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون)

(يونس:94)

وسلم - شاكا في ما أنزل إليه، بل إن للعلماء عدة توجيهات لهذه الآية، منها: أنه - صلى الله عليه وسلم - خوطب، والمراد أمته، وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك، إلى غير ذلك من التفاسير.

المراجع

1. **التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د. ت ، مج1ج1ص598.**
2. **مج6ج11ص284: 286 بتصرف.**